El-Fikr: Jurnal Aqidah dan Filsafat Islam
Vol. 2 No. 1 Juni 2021: 1-16

ابن رشد: حياته وأعماله وآرائه في علم الكلام والفلسفة

Reno Ismanto
IAIN Syaikh Abdurrahman Siddik Bangka Belitung
renoismanto@gmail.com

ملخص البحث

يعد ابن رشد من أعظم رواد التنوير في العالم، وقد كان لأفكاره في التمسك بالعقل تأثيرها البالغ في الشرق والغرب. وعلى الرغم من أن أفكاره في الشرق والغرب لها مؤيدون ومعارضون. وهذا شأن الأفكار العظيمة. ولكن ابن رشد قد أسيء فهمه وحملت أفكاره في أحيان كثيرة غير ما تحمل من جانب مؤيديه ومعارضيه على سواء. هذا البحث محاولة من الباحث لبيان موقف ابن رشد في المسائل التي أثيرت فيها جدلا وكلاما بين علماء المسلمين، كما أن البحث محاولة للتعرف على سيرة حياته العلمية وأعماله الفكرية. واشتمل هذا البحث على المباحث التالية: ترجمة ابن رشد، موقفه في علم الكلام وآراءه في الفلسفة.
الكلمات المفتاحية: ابن رشد، علم الكلام، الفلسفة

Abstract

Ibn Rushd is considered one of the greatest pioneers of enlightenment in the world, and his ideas on adherence to reason had a great influence in the East and the West. Even though, his ideas in the East and West have supporters and opponents, as it is a matter of great ideas. However, Ibn Rushd frequently was misunderstood and his ideas were often carried mistakenly by both of his supporters and opponents. This research is an attempt by the researcher to clarify Ibn Rushd's positions on the issues that raised controversy and discussion among Muslim scholars. The research is also an attempt to recognize his scientific biography and intellectual works. This research included the following topics: Ibn Rushd's biography, his position in theology and his views on philosophy.

Keywords: Ibn Rushd, Theology, Philosophy

مقدمة

إن دراسة الشخصية نوع من أنواع البحوث التي تستحق الاهتمام والعمل بها للتعرف على السيرة والآراء والأعمال التي قام بها الشخصية المدروسة. ودراسة الشخصية تعين الباحثين في الفهم والاستيعاب على آراء تلك الشخصية حول المسائل التي أثيرت في زمانه. ومثل هذه الدراسة أو هذا البحث ليس من هدفه معرفة مدى اتساع واستيعاب الشخصيات على أنواع العلوم فحسب، بل النظر إلى الطرق والمناهج التي ساروا عليها في التعامل مع الفرق والأفكار في الحياة العلمية الاسلامية.

وابن رشد من الشخصيات التي تستحق البحث عنه، وكيف لا يستحقه فاسمه وشهرته منتشر في العالم الاسلامي وفي الغرب. ولم يكن بن رشد معروفا كالفقيه المجتهد الذي جمع في نفسه موسوعة لأفكار العلماء والفقهاء والأدلة على بنية مذاهبهم، بل يجتمع فيه أنواع من العلوم كالعقائد والأخلاق واللغة وآدابها والطب والفلاسفة وغير ذاك، فهو الفقيه والمتكلم والفلسوف. وهذا البحث محاولة متواضعة من البحث لأبراز لمحة من لمحات حياته العظيمة وآرائه البارزة التي تنور العالم بنور العلم والعقل.

منهجية البحث

نهج الباحث في هذا البحث منهج الاستقراء وذلك بجمع آراء العلماء والمؤرخين من خلال الكتب والأبحاث المتعلقة بموضوع سيرة وأعمال ابن رشد وآراءه في علم الكلام والفلسفة، كما قام الباحث بالاطلاع على نقده على آراء المتكلمين والفلاسفة وأدلتهم. وقام الباحث أيضا بتحليل موجز للخلافات والجدل التي دارت بينه وبين المتكلمين والفلاسفة.

نتائج و البحث

أ. ترجمة ابن رشد

هو محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد الشهير بابن رشد الحفيد، ويلقب باللاتينية (Averroes)، من أهل القرطبة، وقاضي الجماعة بها، يكني أبا الوليد. واشتهر بالحفيد تمييزا عن جده الفقيه المالكي المشهور محمد بن أحمد بن رشد، الذي يكنى بأبي الوليد أيضا الذي

كان من أهل القرطبة وقاضي الجماعة بها .[1]

ولد فى قرطبة سنة (525ه) وأدرك من حياة جده ابن رشد شهرا .[2] ويخبرنا مؤرخو سيرته عن تلقيه للعلوم المختلفة منذ صغره، التي كانت معروفة ومتداولة في عصره وما قبله، وهي الفقه والحديث والعقائد والطب والعربية وآدابها وغير ذلك، سوى الفلسفة التي يسكت معظم المؤرخين عن ايراد تفصيلات قليلة أو كثيرة عنها وعلى يد من تعلمها ودرسها .

عرض كتاب الموطأ على أبيه واستظهره عليه حفظا، وأخذ الفقه عن أبى القاسم بن بشكوال، وأبى مروان عبد االمالك بن مسرة، وحدث عنه بأشبيلية وغيرها، أبى بكر بن سمحون، وأبى جعفر بن عبد العزيز، وأجازه الامام أبو عبد الله المارزى، واشتغل على الفقيه االحافظ أبى محمد بن رزق، وأخذ علم الطب عن مرروان بن حزبول، وأبى جعفر بن هارون ولازمه مدة، كأخذ عنه كثيرا من العلوم الحكمية–رحمهم الله– .[3]

ومن خلال إيراد ذلك هؤلاء الفقهاء يظهر أن اهتمام ابن رشد بالفقه والأصول، انما بدأ منذ بداية حياته في طلب العلم، ويعود ذلك الى أن توجه عائلة ابن رشد كان توجها فقهيا (الأب والجد)، مما ترك أثره واضحا لدى ابن رشد الحفيد، ومن دليل على ذلك أنه أَلف عدة مؤلفات مهمة فى هذه العلوم، كان لها أهميتها العلمية والدينية إلى اليوم، ومنها على سبيل المثال كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

---

[1] . أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، (لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995-) ج2، ص74، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، شذرات الذبب فى أخبار من ذهب، تحقيق: عبد تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار بن كثير، 1456ه)، ج4، ص320 .

[2] . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984-) ص ،307، ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (القاهرة: دار التراث) ج 21، ص259 .

[3] . .سير أعلام النبلاء، ص307، الديباج، ج2، ص 257 .

أما تلاميذه فقد سمع منه أبو محمد بنحوط الله، وأبو بكر بن جهور، وأبو الحسن سهل بن مالك، وابنه القاضى أحمد بن محمد بن رشد، وحدث عنه أبو الربيع سالم الكلاعي، وأبو القاسم بن الطيلسان–رحمهم الله– .[4]

وأما مكانته العلمية فتظهر في أنه جمع لابن رشد –رحمه الله–الكثير من العلوم النقلية والعقلية، ويمكن تحديدها بما يلي: الفقه، والخلاف، والأصول، والحديث، وعلم الكلام، والأدب والعربية، والطب، والفلسفة، والمنطق. قال الصفدي –رحمه الله–: ″عرض االموطأ على والده وأخذ الطب عن أبي مروان بن حزبول ودرس الفقه حتى برع وأقبل على علم الكلام والفلسفة وعلوم الأوائيل حتى صار يضرب به المثل.[5]

قال ابن فرحون: ″وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ودرس الفقه والأصول وعلم الكلام ولم ينشأ بالأندلس مثله: كمالا وعلما وفضلا. وكان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا وعنى بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكي أنه لم يدع النظر ولا القراءة مذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله وأنه سود –فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر– نحوا من عشرة آلاف ورقة ومال إلى علوم الأوائل وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفزع إلى فتياه في الطب كما يفزع إلى فتياه في الفقو مع الحظ الوافر من الإعراب كالآداب والحكمة".[6]

أما عن أخلاق وخصاله االحميدة، فقد قال عنه ابن الأبار وغيره، في أنه لم ينشأ بالاندلس مثله كمالا وعلما وفضلا، وحمدت سيرته وعظُم قدره عند الخلفاء والأمراء، وكان على شرفه أشد الناس تواضعا واخفضهم جناحا، وعنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على زوجه، وكان يوصف بيته بيت العلم

[4] . الديباج، ج2، ص 259 .

[5] . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، 2000م) ج2، ص 81–82 .

[6] . الديباج، ج2، ص 258 .

والرياسة.

وكا له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يعرفها في ترفيع حال ولا جمع وإنما قصرها على اهل بلده
خاصة، والاندلس عامة.[7]

حكى عنه ابن فرحون: ″وحمدت سيرته في القضاء بقرطبة وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ولم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال إنما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس عامة.[8] إن هذه الصفات االحميدة والاخلاق الرفيعة والشيم الفاضلة، هي التي طبعت حياة ابن رشد إلى يوم وفاته، وتركت آثارها على فلسفته عموما، وهذا يبين ما تركه من مؤلفات تحكي عنه قوة الإرادة والنزوع الى الغوص في دقائق الأمور فيما يخص العلوم والمعارف، مما أبعده عن زخرف القول وموالاة ذي السلطان.

وأما عن مؤلفاته قد ألف فى شتى فنوف المعرفة التى كان قد حصلها، كالفقه، والخلاف. والأصول، والكلام، والعربية، والطب، والمنطق، والفلسفة، جاء فى الديباج لابن فرحون: ″وأنه سود – فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر– نحوا من عشرة آلاف ورقة. وله تآليف جليلة الفائدة منها كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه، ذكر فيه أسباب الخلاف وعلل ووجه فأفاد وأمتع به ولا يعلم في وقته أنفع منه ولا أحسن سياقا. وكتاب الكليات في الطب ومختتصر المستصفى في الأصول وكتابه في العربية الذي وسمه بالضرورية وغير ذلك تنيف على ستين تأليفا.[9]

وقال ابن أبي أصيبعة: ″وهو جيد التصنيف حسن المعاني، وله في الطب كتاب الكليات، وقد أجاد في تأليفه.[10]

[7]. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 1،ص 351، التكملة، ج2، ص 74، الوافى بالوفيات، ج2، ص82.

[8]. الديباج، ج2، ص 258.

[9]. الديباج، ج2، ص 258.

[10]. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص350.

ولا يسع هذا البحث لذكر جميع مؤلفاته، لذا نذكر فيما يلي أهمها مما له تعلق بالشريعة[11]:

1. التحصيل : جمع فيه اختلاف العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التى هي مثار الاختلاف .
2. شرح كتاب المقدمات فى الفقه لجده
3. بداية المجتهد ونهاية المقتصد فى الفقه
4. منهاج الأدلة: في علم الأصول
5. تهافت التهافت: رد فيه على الإمام الغزالى
6. فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال
7. الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة .

وقد امتحن ابن رشد في حياته، ومن المؤرخين الذين قصوا عن محنته ابن أبي أصيبعة، قال: "ثم إن المنصور فيما بعد نقم على أبي الوليد بن رشد، وأمر بأن يقيم في اليسانة وهي بلد قريب من قرطبة، وكانت أولا لليهود، وأن لا يخرج عنها، ونقم أيضا على جماعة أخر من الفضلاء الأعيان، وأمر أن يكونوا في مواضع أخر وأظهر أنه فعل بهم ذلك بسبب ما يّدعي فيهم أنهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الأوائل، وهؤلاء الجماعة هم أبو الوليد بن رشد، وأبو جعفر الذهبي، والفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي، وبقوا مدة، ثم إن جماعة من الأعيان بإشبيلية شهدوا لابن رشد أنه على غير ما نسب إليه، فرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة .[12]

بمثل هذا الرأي ذهب اليه الصفدي، حيث يقول :"وامتحن آخر عمره امتحنه السلطان يعقوب، وأهانه ثم أكرمه ثم انه مات فى حبس داره لما شنع

[11] . الوافى بالوفيات، ج2، ص82، عيون الانباء، ج1، ص350 .

[12] . عيون الانباء، ج1، ص351 .

عليه من سوء المقالة والميل الى علوم الأوائل .[13] ويروي الامام الذهبي فى السير قول شيخ ابن حمويه ″:لما دخلت البلاد، سألت عن ابن رشد، فقيل: إنه مهجور في بيته من جهة الخليفة يعقوب، لا يدخل إليه أحد؛ لأنه رفعت عنه أقوال ردية، ونسبت إليه العلوم المهجورة، ومات محبوسا بداره بمراكش، في أواخر سنة أربع .[14]

قال القاضي أبو مروان: ″ومما كان في قلب المنصور من ابن رشد أنه كان متى حضر مجلس المنصور، وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بأن يقول: ″تسمع يا أخي، وأيضا فإن ابن رشد كان قد صنف كتابان في الحيوان، وذكر فيه أنواع الحيوان، ونعت كل كاحد منها، فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر يعني المنصور، فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده، ويقال: إنه مما اعتذر بو ابن رشد أنه قال إنما قلت ملك البرين، وإنما تصحفت على القارئ فقال ملك البربر .[15]

أما الدكتور محمد عابد الجابري فله رأي آخر، حيث يري أن سبب نكبته ليس قضية "الزراقة″ الذي أثارت غضب الخليفة، وليس قضية علوم الأوائل فحسب، بدليل ما ذكره الصفدي من أن ″جماعة من الأعيان بإشبيلية شهدوا لابن رشد أنه على غير ما نسب إليه، فرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة″ . كولرأم عنده أن سببها كان السياسة، وتمثل فيما كتبه فى ″الضروري فى السياسة وهو مختصر كتاب ″جمهورية″ لأفلاطون، والذي يخاطب فيه الشخصية الرسمية التى طلبت منه هذا الكتاب بقوله، فى ختامه: ″أعانكم الله على ما أنتم بصدده وابعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله .″ وهذه الشخصية التى طلبت منه ″الضروري في السياسة″ لا

[13] . الوافي بالوفيات، ج2، ص82 .

[14] . الوافي بالوفيات، ج2، ص82 .

[15] . عيون الانباء، ج1، ص351 .

يمكن أن تكون غير الأمير أبى يحي نفسه، عندما بدأ فى الدعوة الى نفسه بالأندلس اثر مرض المنصور.[16]

توفى ابن رشد بمراكش يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة. وتوفى المنصور الذي نكبه بعده بشهر.[17]

ب. موقف ابن رشد عن علم الكلام

نهج ابن رشد في علم الكلام المنهج النقدي، وأهم ما يميز الاتجاه الخاص عند ابن رشد ايمانه بالمبادئ اليقينية البرهانية والمناداة بتطبيقها. واعتبر ابن رشد هذه المبادئ محكا للنظر السليم. وكان موقفه واضحا حيث أنه قائم على تمييزه بين مراتب التصديق، هي مراتب ثلاثة: اليقينية، والجدلية، والخطابية. وقد حاول جهده الدفاع عن القياس العقلي ونادى بضرورة اللجوء الى التأويل، اذ أن اللجوء الى التأويل في رأيه يؤدى الى الصعود الى العقل كالبرهان.

لذلك نجده نقد ورفض طريقة المتكلمين في الاستدلال، وذكر أنهم أهل جدل لا برهان، فهم قد امنوا بأراء معينة بناء على اعتقادات سابقة يجعلون هممهم نصرتها وتأييدها. ويرى الشيخ كامل محمد محمد عويضة أن ابن رشد لم يستخدمـ الفلسفة فى مجرد عن الدفاع عن الدين، كما فعل المتكلمون، فالخلاف والفرق كان جوهريا بين منهجه كفلسوف ومنهج المتكلمين، وهذا الخلاف ليس باليسير، فلا غرابة أن يوجد من الفلاسفة من ينظر باحتقار الى علم الكلام ويرون أن منهجهم ليس له قواعد بالمعني لفلسفي.[18]

كما أن ابن رشد نقد بعض استدلالات المتكلمين، فإنه أيضا قد حرص على نقد طريق أهل الظاهر المعروف بالحشوية،

---

[16] . محمد عابد الجابري، ابن رشد: سيرة وفكرة، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998)، ص64.

[17] . التكملة، ج2، ص74، سير أعلام النبلاء، ص309، الديباج، ج2، ص259.

[18] . الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ابن رشد الأندلسي: فلسوف العرب والمسلمين، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1993م)، ص58.

وطريقة أهل الباطن أو الصوفية، وكذلك نقد أراء المعتزلة، فى مواضع متعددة اثناء دراسته لكثير من الموضوعات والمشكلات الكلامية ومن بينها مشكلة المعرفة ومشكلة الاتصال وتحليل الأدلة على وجود الله.

اذا كان ابن رشد يختلف مع هذه الفرق فى بعض الموضوعات، فانه قائم على ايمانه بأن الطريقة فى الاستدلال لا بد أن تكون شرعية. ولا يمنع هذا من تقديره للأراء والنظريات الأخرى والاتفاق عليها اذا تحقق فيها شرط القبول، لذلك نجده فإنه يتفق معهم فى بعض آرائه.

وموقفه جلي حيث أنه يقبل على الطريقة الصحيحة والتأويل المقبولة، وذلك يظهر من خلال قوله، بعد ما ذكر الطوائف الأربعة الذل حاول نقدها فى كشف الأدلة، : ″وكل هذه الطوائف قد اعتقدت فى الله اعتقادات مختلفة وصرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها الى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات، وزعموا أنها الشريعة الأولى التى قصد بالحمل عليها جميع الناس، كأن من زاغ عنها فهو اما كافر أو مبتدع. واذا تأملت جميعها وتأمل مقصد الشرع، ظهر جلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة،وأنا أذكر من ذلك ما يجرى مجرى العقائد الواجبة فى الشرع التى لا يتم الايمان الا بها، واتحرى ذلك كله مقصد الشارع دون ما جعل أصلا فى الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بصحيح.[19]

ت. الأدلة على وجود الله عند ابن رشد

لا شك أن ابن رشد كان من أهل الكلام، وان كان اسمه كالفلسوف والفقيه المالكي أكثر شهرة. ويبدو جليا براعته فى هذا العلم في آرائه الذى كتب فى كتابه ″الكشف عن مناج الأدلة فى عقائد الملة.″ ولقد نقد ابن رشد المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة الحشوية والصوفية فى بعض المسائل الكلامية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: طريقة اثبات وجود الله، وحدانية الله، الصفات الالهية، التنزيه الالهي، بعث الرسل، العدل والجور وغيرها.

[19]. الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، ص46.

تعد مسألة وجود الله من أهم المسائل فى الدين. كان يري ابن رشد ان تكون طريقة اثبات وجود الله شرعية، وهو وان كان يختلف مع بقية علماء الكلام لكنه يتفق معهم فى أن الله موجود، ولكن يرى طريقتهم فى اثبات ذلك لم تسلم من الانتقادات والمشاكل. وقد بدأ ابن رشد فى كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة" بالكلام عن اثبات وجود الله. وذكر أن هناك أربعة طوائف، يعني بها: الأشعرية، والمعتزلة، والباطنية، والحشوية. ويري أن أدلتهم تتفادى أوجه النقص فى الأدلة التى قدمها من سبقوه.

فالحشوية فى رأيه أعطل العقل فى هذا، حيث يرون أن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل. ويعنون به أن الايمان بوجود الله الذي كلف الناس التصديق به يكفى فيه أن يتلقى من صاحب الشرع ويؤمن به إيمانا، كما يتلقى من أحوال المعاد وغير ذلك، مما لا مدخل فيه للعقل .ونقد ابن رشد لهذه النظرية أن الحشوية قصرت الطريق لمعرفة الله بالسمع، ولا تعط للعقل وظيفته الذي قررها صاحب الشرع فى كثير من الآيات القرآنية، جاء فى الكشف: "وهذه الفرقة الضالة، الظاهر من أمرها أنها مقصرة عن مقصد الشرع فى الطريق التى نصبها للجميع مفضية الى معرفة وجود الله، ودعاهم من قبلها الاقرار به، وذلك أنه يظهر من غير آية من كتاب الله أنه دعا الناس الى التصديق بوجود الباري بأدلة عقلية منصوص عليها فيها، مثل قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم" الآية. ومثل قوله تعالى: "أفى الله شك فاطر السماوات ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى[20].

أما نقده للمعتزلة فقد ذكر في الكشف قوله: "وأما المعتزلة فانه لم يصل إلينا فى هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التى سلكوها فى هذا المعنى. ويشبه أن تكون طرقهم من جنس طرق الأشعرية[21].

[20]. الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، ص46.

[21]. المصدر السابق، ص60

وأما سبب نقده للصوفية فلأن التصوف فى رأيه خاص لجماعة دون أخري. وابن رشد في المسائل العقدية يريد الأسس الشاملة والمبادئ الواضحة التى يسير على هديها العقل فى اصدار الاحكام على الأشياء والنظر في الموجودات.

قال في الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة: ″أما الصوفية فطرقهم فى النظر ليست طرقا نظرية، اعني تتركب من مقدمات وأقيسة، وانما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى فى النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب. ويحتجون لتصحيح هذا بالظواهر الكثيرة من الشرع مثل قوله تعالى: ″واتقوا الله ويعلمكم الله،″ وتابع قوله: ″ونحن نقول أن هذه الطريقة وإنما سلمنا وجودها بأنها ليست عامة للناس بما هم ناس، ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر، ولكان وجودها بالناس عبثا. والقرآن كله انما هو دعاء إلى النظر والاعتبار، وتنبيه على طريق النظر. نعم لسنا ننكر أن تكون اماتة الشهوات شرطا فى صحة النظر".[22]

أما المتكلمون من الأشاعرة، يقولون أف دليل على وجود الله هو دليل الحدوث. وهذا الحدوث يقوم عندهم على القول بأن الاجسام تتركب من أجزاء لا تتجزأ أي جوهرة فردية، وهذه الجوهرة الفردية تعد محدثة، وبالتالي تكون الاجسام التى تتركب من هذه الجواهر محدثة أيضا. واذا كانت محدثة، فلا بد أن يكون لها محدث وهو الله تعالى.[23]

ولم يسلم ابن رشد على هذا الدليل، لانه قائم على ثلاث مقدمات: احداها أن الجواهر لا تنفك من الاعراض، والثانية أن الأعراض حادثة، والثالثة أن ما لا ينفك من الحوادث حادث.

[22]. الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، ص59.

[23]. المصدر السابق، ص، 37، الدكتور عاطف العراقى، المنهج النقدي فى فلسفة ابن رشد، (القاهرة: دار المعارف، 1984م)، ص55.

ويري ابن رشد أن هذه المقدمات لم تسلم من الانتقادات والكلام.[24]

هذا فلم يقبل ابن رشد منهج الأشعرية في الاستدلال على وجود الله بهذه الطريقة. وقد بين ولخص الدكتور عاطف العراقى مذهب ابن رشد تجاه رأي الاشاعرة هذا ، فيقول: "فمن جهة كونه محدثا، فلأنه يفتقر الى محدث، وهذا المحدث الى محدث ما لا نهاية، وذالك بطبيعة الحال مستحيل، وأما كونه أزليا فانه يجب تبعا لهذا أن يكون وجوده متعلقا بفعل حادث الا لو قبل المتكلمون أن يسلموا بفعل حادث عن فاعل قديم، فان المفعول لا بد ان يتعلق به فعل الفاعل، ولكن أصولهم المقارن للحوادث حادث. هذا بالاضافة الى ان الفاعل اذا كان يفعل حينا ولا يفعل حينا آخر، فلا بد ان ينشأ فى ذهننا سؤال عن العلة التى صيرته باحدى الحالتين اولى منه بالأخرى، فيسأل أيضا فى تلك العلة، وفى علة العلة، ويمر الأمر الى غير نهاية.[25]

وبعد أن عرض هذه المذاهب وقرر أن هذه الطرق ليست واحدة منها وهي الطريقة الشرعية التى دعا اليها الشرع منها جميع الناس، ننتهي إلى رأي ابن رشد في الطريقة الشرعية للاستدلال على وجود الله التي نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم؟

يرى ابن رشد أن هناك دليلان قاطعان على وجود الله وهما دليل العناية ودليل الاختراع، وبيان ذلك ما يلي:

1. دليل العناية

يبنى دليل العناية في رأي ابن رشد على أصلين رئيسين:

1. أن جميع الموجودات في عالمنا هذا موافقة لوجود الانسان

2. أن هذه الموافقة لم تأت بالصدفة، أي ليست بطيقة عشوائية بل مدبرة من قبل كائن عالم حكيم.

ومثال ذلك أن وجود الليل والنهار وتعاقبهما ووجود الفصول الأربعة بترتيب معين لا يحيد وعدم

[24]. الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، ص49–56.

[25]. المصدر السابق، ص58.

اختلاط هذه بالأرض وعدم تغطية الأرض لها، كل ذلك لا يمكن أن يكون حاصلا عن الصدفة لأن الصدفة ان انتجت مرة أو مرتين أو ثلاثة فإنها لا يمكن أن تكون قاعدة عامة أو نظاما كونيا صارما لا تتغير ولا تتبدل. وهذا النظام الكوني لا بد أن يكون له منظم أوجده على صورة وعلم دقيق وأدرك الغاية منه.

2. دليل الاختراع

اما دليل الاختراع فقد اعتمد ابن رشد على طريقة متكلمين رغم أنه هاجمهم ورفض اتجاهم. وهذا الدليل يستند الى رأى المتكلمين في أن العالم مكون من جواهر وأعراض حادثة. والمعلوم أن الجواهر لا تخلو من الاعراض أي لا تخلو من الحوادث، وما لا تخلو من االحوادث فهو حادث، أي ان العالم محدث والمحدث مخترع لا بد له من مخترع مبدع وهو فى النهاية الله سبحانه وتعالى.[26]

ث. آراء ابن رشد في الفلسفة

يعد ابن رشد من أحد مناصري لعلم الفلسفة، وقد ألف كتابه المشهور فى هذا الفن، يسميه "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال." وقد بدأ كتابه بالسؤال "هل النظر فى الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به؟

رأى ابن رشد أن الفلسفة هي النظر فى الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على وجود الصانع. والموجودات إنما تدل على وجود الصانع. فاذا كانت المعرفة بالموجودات أتم كانت المعرفة بالصانع أتم. والشرع دعا الى الاعتبار الموجودات وأوجب النظر بالعقل فيها، ويقصد بالنظر هنا القياس العقلي. ويرى أن القياس العقلي الذي دعا اليه الشرع وحث عليه

[26]. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص 60.

هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس ويسمي بالبرهان.[27]

ويرى ابن رشد أن الشرائع كلها حق ودعت الى النظر المؤدي الى االحق. والمعلوم بالقطع أن النظر البررهاني لا يؤدي إلى مخالفة ما ورد به الشرع، لأن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له، واذا كان بهذا فلا تعارض بين الشريعة والفلسفة التى عمله النظر فى الموجودات أو المسمي بالقياس العقلي.

إن ابن رشد، فى رأي الدكتور محمد حمدي زقزوق لم يحاول اعلاء الفلسفة على الدين أو العكس، بل حاول بيان ما بين الشريعة والحكمة من اتفاق واتساق. وقد اعتبر ابن رشد محاولة الغزالي للانتقاص من الفلسفة بأنها محاوالة خاطئة، ولذلك نراه بعد أن يفرغ من مناقشة الغزالي يقول فى نهاية كتابه "تهافت التهافت": "ولا شك أن الرجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة" ويتابع الدكتور كلامه: "واذا كانت الفلسفة تبحث ما جاء به الشرع فليس معنى ذلك أنها وصية عليه أو ان لها سلطان أعلى من سلطان الدين. ولم يعرف لابن رشد قول فى هذا المعنى على الاطلاق" ثم ذكر دليله على ذلك، وهو قول ابن رشد فى تهافت التهافت: "الفلسفة تفحص عن كل جاء في الشرع، فان ادركته استوي الادراكان، وكان ذلك أتم فى المعرفة، وان لم تدركه علمت بقصور العقل الانساني عنه، وان يدركه الشرع فقط".[28]

الخلاصة

إن ابن رشد من أعظم الفلاسفة الاسلاميين مكانة فى مجال الفكر الفلسفي على وجه العموم، إذ أنه لم يحظ بهذه المكانة فى العالم العربي الإسلامي فحسب، وانما كانت مكانته فى العالم الاوربي اللاتيني أعظم من ذلك كما هو معلوم. ولا شك أن نقده لبعض العلماء

[27]. فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة ك الحكمة من الاتصال، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1982م)، ص 13–16.

[28]. مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد، محمود حمدي زقزوق، بحث مقدم في المؤتمر العالمي للفلسفة تحت عنوان: ابن رشد والتنوير المنعقد في عام 1994م في القاهرة، (القاهرة: دار الثقافة، 1994م) ص 105.

المسلمين من الفلاسفة والمتكلمين قد أثارت جدلا ونقاشا، ولا يزال آثاره الى زماننا هذا. فالكلام والمناظرة مقبولان اذا تما فى حدودهما وبطريقة شرعية، فان لكل رأس عقله، وابن رشد عندما قام بنقد الأراء فإنه جاء بايمانه أن الدليل عنده هو الأقرب إلى الصحة، ولا يعني ذلك رفضه لجميع ماجاء من هذه الفرق.

ولا يخلو ابن رشد من الانتقادات على أرائه، فمن العلماء اللذين قاموا بنقد آرائه ابن تيمية، فقد وجه عدة انتقادات عليه، نذكر من بينها، نقده لابن رشد عندما حصر المسلمين فى طوائف أربع (المعتزلة والاشاعرة والصوفية والباطنية)، ويعد ذلك تقصيرا منه، اذ السلف كالأئمة وخيار المسلمين ليس منهم واحد من هذه الطوائف. هذا، وإذا كان ابن تيمية قد انتقد ابن رشد انتقادات عنيفة فى بعض مسائل، فانه قد وافقه فى مسائل أخرى، وان كانت قليلة، الا أن ذلك يدل على موضوعية ابن تيمية تجاه ابن رشد. ولا غرابة فى ذلك، فان الرجل يؤخذ من كلامو ويرد، الا كلام سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم.

قائمة المراجع

الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، (لبنان: دار الفكر للطباعة،1995م)

العكري، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق: عبد تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود لأرناؤوط، (دمشق: دار بن كثير، 1406ه) .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، سير اعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م) .

ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (القاهرة: دار التراث، د.ت) .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، 2000م) .

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مدون فى برنامج ″مكتبة الشاملة″)

الجابري، الدكتور محمد عابد ، ابن رشد: سيرة وفكرة، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م) .

الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ابن رشد الأندلسي: فلسوف العرب والمسلمين، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1993م) .

ابن رشد، محمد بن أبي القاسم أحمد، الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، م1982) .

مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد، محمود حمدي زقزوق بحث مقدم في المؤتمر العالمي للفلسفة تحت عنوان: ابن رشد والتنوير المنعقد فى عام 1994م في القاهرة، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1994م) .

الدكتور ابراهيم تركى، أزمة الرشدية العربية، (القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2003م) .